

إشكاليات ترجمة النص القرآني

عمر لحسن

جامعة عنابة - الجزائر -

lahcenamor@yahoo.fr

المقدمة:

إن الترجمة فعل حضاري علمي في آن واحد، فبوساطتها تنهض الأمم وتتلاقح الثقافات والحضارات، فالأمة التي تريد أن تؤسس لنفسها حضارة ومجداً، مضطرة إلى معرفة ما توصل إليه غيرها من الأمم السابقة، وبذلك فهي لا بد أن تلجأ إلى الترجمة لاستلهم ذلك الموروث الإنساني، فهي قديمة قدم الإنسان.

ودرب الترجمة وعمر متعدد المسالك حافل بالمطبات، وميدانها متداخل العناصر متشابك الأركان. وقد تصدى بنو الإنسان لهذا النشاط منذ قدم الزمن، بعد أن تفرعت الألسن، ذلك أن الحاجة اقتضت منهم أن يتفاهموا ويتواصلوا ويتخاطبوا مستعملين الترجمة واسطة. وقد لعبت الترجمة قدما دورا خطيرا الشأن في اتجاهين رئيسين: أولهما نقل التوراة والإنجيل في نطاق حملة التنصير، التي انطلقت من بلاد ما بين النهرين، والثاني نقل الفكر الإغريقي والفارسي والهندي وغيره إلى اللغة العربية، وإرساء قاعدة الحضارة العربية الإسلامية.⁽¹⁾ فالترجمة بوصفها "نشاطا لغويا تعدّ إحدى أكثر الممارسات اللغوية تعقيدا لما تتطلبه من مهارة تمثل النص المترجم تمثلا مدركا لخصائصه البنيوية وقرائنه الثقافية، ومن جهة أخرى فهي مصدر هام في عملية التواصل الإنساني وجعله مستوعبا على الدوام لخبرات الآخر وإنجازاته".⁽²⁾

وإذا كانت الترجمة الأدبية توصف بالخيانة أو الأمانة بحسب قربها أو بعدها عن النص الأصل، وفي هذا يرى ترنوكشي Tarnoczi أن "الترجمة والأصل يكونان في حالة تناسب إذا عبّرا عن نفس الشحنة الإعلامية، ونفس المقصدية التواصلية وأن يحدثا نفس الأثر لدى القارئ أو المستمع".⁽³⁾ مع العلم أن الترجمة قد تحدث بعض التغييرات مقارنة مع الأصل وذلك تماشياً مع مقتضيات اللغة المنقول إليها. في حين ترى جويل رضوان أن "الأمانة الأساسية يجب أن تتوجه إلى الجمهور الذي نترجم من أجله، إذ يجب أن يحس نفس الأثر الذي أحسّه قراء أو مستمعو النص الأصل"،⁽⁴⁾ ولا يمكن لهذا الأثر أن يمارس فعاليته إلا إذا كان المترجم متمكناً من حضارة اللغتين ومطلعاً على أسرار أساليبيها.

أما الترجمة العلمية، فلا يجب أن تدخل في هذا الجدل، ذلك أنها مطالبة بأن تنقل المفاهيم والمعطيات العلمية بدقة وبأمانة متناهيتين، لأن أي عدول عن النص الأصل قد ينتج مفاهيم خاطئة أو غير التي قصدتها صاحب النص. وربما تكون الترجمة العلمية - في هذا المجال - أقل صعوبة من النص الأدبي الذي يعتمد أساساً على الاستعارات والكنائيات وشق أنواع البيان والبدیع، وهو ما يجعل الخيانة⁽⁵⁾ واردة.

تعريف الترجمة:

يقال ترجم الكلام بيّنه ووضحه، وترجم كلام غيره، وعنه: نقله من لغة إلى أخرى.⁽⁶⁾ فالترجمة تفسير الكلام بكلام آخر، قد يكون باللغة نفسها، وقد يكون بلسان مغاير، ذلك أن اللغة ترجمان الإنسان عن نفسه، واللغة ترجمان الإنسان عن الكون، واللغة - إلى جانب هذا وذلك - ترجمان الإنسان عن

الإنسان، ساعة يكون للواحد منهما لسان غير الذي للآخر.⁽⁷⁾ ومن هذا المنطلق، اكتسبت اللغة مكانتها المعروفة في إطار النشاط الفكري والعلمي الذي مارسه الإنسان منذ أن وجد على هذه البسيطة. وقد عرفها البعض بأنها عملية استبدال مفردات من النص الأصلي بمفردات أخرى، معادلة لها معنى، في لغة أخرى،⁽⁸⁾ وهي "إيصال فكرة أو إبلاغ، أو قل هي التبليغ، أو تحويل ذلك البلاغ إلى لغة أخرى، وإعطاؤها شكلا مكتوبا أو مسموعا، أو وضع صيغة مطابقة لصيغته في لغة النقل".⁽⁹⁾ وقد عرفها بعضهم بقوله: "إن الترجمة بمعناها المتخصص تعني النقل من لغة (...) بأقصى قدر من الأمانة إلى لغة متلقية، وهذا عمل يتطلب قدرة وسعة اطلاع وتمكن من لغتين على الأقل، ليتسنى تحقيق مفهوم الترجمة بمعناها الدقيق".⁽¹⁰⁾

إن مثل هذا البحث يكتسي أهمية بالغة في هذه الظروف التي تعرف حملة شرسة ضد الإسلام ورموزه كالحملة التي عرفتها أوربا ضمن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى القرآن الكريم. ويهدف هذا البحث إلى:

1- إبراز النجاح الكبير الذي حققته المؤسسة الاستشرافية في أن تقدم إلى الأوروبيين أولا، ثم إلى باقي المناطق في العالم، مادة معرفية مزورة ومشوهة عن القرآن الكريم، وبالطبع لن يعرف خطورتها إلا من أوتي معرفة منطلقة من الأصول الصحيحة. ولذلك، فنحن مطالبون بالكشف عن كل المزالق التي يمكن أن يقع فيها أبناء هذه الأمة الإسلامية، قبل غيرهم، كي لا ينجروا وراء شعارات الموضوعية الكاذبة التي يرفعها هؤلاء المستشرقون.

2- ما يقتضيه واجب التبليغ والدعوة إلى الإسلام، وهو واجب يقع على عاتق كل مسلم، وهذا الواجب يحتم علينا معرفة ما يثيره الغرب من شكوك

وشبهات حول الإسلام والقرآن، وأن يتصدى له بالعلم والمعرفة، وليس بالجهل والأوهام. فكل مسلم مطالب شرعا بعرض كلام ربه على غيره بشكل واضح وسليم، كي يحصل على صورة إيجابية وصحيحة لهذا الكتاب الجليل. ذلك أن أغلب من أسلم من كبار العلماء في العالم هم الذين عرفوا الإسلام بلغتهم، وفهموا الإسلام والقرآن فهما صحيحا بلغتهم.

3- لقد أصبحت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، وبخاصة منها الإنجليزية والفرنسية والإسبانية ضرورة ملحة في أيامنا، وذلك حتى يتمكن الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين من غير العرب قراءته بترجمة أمينة، تبرز الصورة المشرفة التي أعجزت أهله من العرب في القدم وما زالت.

القرآن الكريم:

إن القرآن هو الرسالة الجديدة في العالم والأخيرة في الوقت نفسه بالنسبة لجميع الرسالة، وقد سنع له هذا الوضع لتكون نصوصه ذات بناء رمزي، ويكون تعبيره عن الأشياء بأسلوب رمزي، لأنه يعبر عما سبق، ويعبر عما سيأتي، ويعبر عما هو دائم. وهذه الرمزية إنما تعني الديمومة، إذ لو جاء التعبير في القرآن بأسلوب مباشر حين يخاطب الواقعة الحاضرة أثناء النزول لتوقف القرآن عند ذلك الزمن، ولكن مجيئه بأسلوب الرمز يجعله في مستوى خطاب كل الوقائع التي تحضر في كل زمن. (11)

إن هذه الرمزية هي التي جعلت معاني القرآن تتمتع بلك القدرة على السعة والاستيعاب لتكون دينا شعبيا ونخبويا في الوقت نفسه ؛ فقد وجد فيه الفيلسوف حكمته، ووجد فيه المتصوف رغبته، ووجد فيه العامي مطمحه، ووجد

فيه المتخصص والمتقف مأمنه ومبلغه، بل لقد وجد فيه كل إنسان مهما كانت درجته مطمئنة ومسكنة.

ومن، هنا فإن هذه الرمزية ليست شكلا من أشكال الإغلاق التي ترفع النصوص إلى درجة الإشكال والغموض، التي تغرق العقول في ملاحم عويصة من الفكر، وترج بها إلى ميادين الخصام حول المبهمات، وليست ضربا من ضروب تلوين الكلام وتزيينه، بحيث لا يفهمه إلا أهل الصناعة الذين حذقوا في فنون القول واللسن. بل إن هذه الرمزية هي ما عاش في الدماغ البشري مما يفهمه من الخطاب الإلهي.

فكلمة الله مثلا، وهي الكلمة الأهم في القرآن كله هي عند العامي: يجلب الرزق، ويدفع الضر، ويعطي الولد ويداوي من الروماتيزم وجميع الأمراض، وينتقم من الظالم، ويحمي الضعيف.

وهي عند الفيلسوف: واجب الوجود، وواجد كل موجود، ووجوده خارج عن الزمان والمكان، وأن الوجود دليل على وجوده... وهي عند الفقهاء: محلل الحلال، ومحرم الحرام، ومقرر الأوامر والنواهي، ولا رادّ لأمره، ولا معقبا لحكمه، ولا يجوز الخروج عن طاعته أو مخالفة أمره، أو الدخول في باب معصيته فقد خلقنا لعبادته وحذرنا من مخالفته...

وهي عند أهل التصوف: تعني حقيقة الحق، وحق اليقين، من عرفه غاب عن الوجود، ومن كشف له حجاب الغيب كان من أهله، ولا يمكن الوصول إليه إلا بالاحتجاب عن الخلق أجمعين...⁽¹²⁾

هكذا فهمت كلمة الله في الإدراك البشري، لأن الله حاور البشر جميعا وأفهمهم باللغة التي يستطيع أن يقتبس منها كل فريق المعنى الأقرب والأنسب لمستوى فهمه وإدراكه.

فلو كانت كلمة الله لا تحتل إلا مدلولاً واحداً يجب أن تحس به كل القلوب البشرية بنفس الدرجة من الفكر والروحانية لاتسعت الدنيا لطائفة واحدة من البشر، وضاعت بأطياف أخرى، وهذا يوجب أن يكون القرآن لا نسخة واحدة، بل ستتعدد نسخه، بحسب الطوائف والفئات، فيقال هذا المصحف منزل لفلاسفة فحسب، وهذا مصحف آخر يخص طبقة العلماء، وهذا مصحف للعوام... وهكذا.

وهذا محال، فالقرآن نص واحد ونسخة واحدة لكل الطبقات: إلا علياء والأدنياء، وأغنياء والفقراء والمتقدمين والمتخلفين وللأقدمين والمحدثين. وإنما جاء القرآن بأسلوب رمزي، متعدد المعنى، فهو الكتاب المغلق نصاً لا يجري عليه تعديل، وهو الكتاب المفتوح فهماً لا يتقيد بفهم طائفة أو فئة أو مذهب أو طبقة.

موقف العلماء من ترجمة القرآن:

كان لا بد قبل الدخول في التفاصيل التقنية لترجمة معاني القرآن أن نطرح على أنفسنا أسئلة مفادها: هل يجوز شرعاً أن يترجم القرآن؟ وإذا جاز فهل يمكن عملياً وتقنياً؟ وإذا أمكن فهل لنا أن نخرج من خلال وقائع الترجمة خلال التاريخ بصورة واضحة لمعالم الصعوبات التي يلقيها المترجم؟

أما السؤال الأول وهو الجواز الشرعي فقد كان مطروحا خلال تاريخ الإسلام، ولكنه في صدر الإسلام وإبان نزول الوحي لم يكن مثار جدل كما صار بعد ذلك. ويحكى كثيرون من مؤرخي الإسلام أن الفرس عندما بدأوا يدخلون في الإسلام سألوا سلمان الفارسي الصحابي الجليل أن يكتب لهم سورة الفاتحة باللغة الفارسية، ففعل. ولم يرفض النبي في ذلك مما يدل على إباحته، ثم يحكي بعض الأئمة الذين كانوا يعلمون أهل اللغة الفارسية القرآن الكريم، منهم أبو موسى الأشعري، كانوا يفسرون الآية بالعربية لناطق العربية ثم بالفارسية للناطقين بها. وكل ما ورد عن هذه الفترة من صدر الإسلام مثل إرسال النبي رسائل إلى ملوك البلاد المجاورة، يؤكد ضرورة ورود آية قرآنية في مثل هذا السياق ولا بد أن هذه الآيات كانت تترجم، ولا بد أن كان حول النبي من يعرفون هذه اللغات المجاورة. وكل ذلك وغيره من التفاصيل التي لا يستدعي المقام ذكرها بكل تفاصيلها هنا - حدا بكثير من الباحثين إلى القول بأن مبدأ ترجمة معاني القرآن إلى لغات غير العربية كان أمرا غير مرفوض ولا محرم شرعيا في صدر الإسلام. وقد نفهم ذلك أ: ثر إذا عرفنا أن كلمة "ترجمة" وكلمة "تفسير" كانتا مترادفتين أو شبه مترادفتين، فقد كان ابن عباس يدعى "ترجمان القرآن" .. وإذا تأكد أنه لم يكن ينقل معاني القرآن إلى لغة غير العربية، وإنما كان يشرح ويفسر، رأينا كيف يتداخل التفسير مع الترجمة فالترجمة تفسير والتفسير ترجمة وإن بدرجة ما.

ثم اختلف أئمة المسلمين وفقهاؤهم حول مبدأ جواز ترجمة القرآن شرعا، أو عد جوازها، فذهب الشافعية إلى أنه لا تجوز قراءة القرآن بلسان غير العربي، سواء ي الصلاة أو في غير الصلاة، وسواء أمكنت العربية القراء أو عجز

عنها، فإن أتى بترجمة في الصلاة لم تصح صلاته، وبه قال جمهور العلماء، ومنهم مالك وأحمد وأبو داود، كما رفض المالكية كذلك جواز الصلاة بغير العربية.⁽¹³⁾

ويقال إن الإمام أبا حنيفة كان أجازها، ويقال إنه تراجع عن ذلك، ورفض ابن قتيبة من وجهة أدبية جواز ترجمة القرآن، كما ورد في كتابه "تأوي مشكل القرآن" منطلقاً من قوله بوجود المجاز في العربية، وعدم وجوده في غيرها من اللغات. ومنع ابن حزم تلاوة القرآن في الصلاة بغير العربية.

ويرى الإمام الغزالي أن القرآن متعبد بلفظه، ولذا فلا مجال لأن تؤدي التراجم المقصود الحقيقي لكلام الله. وعارض الرازي في تفسيره "الكشاف" مبدأ الترجمة. وكذلك ابن قدامة وبه قال الشافعي وأبو يوسف. وكذلك عارض ابن تيمية جواز الترجمة مع القدرة على العربية أو العجز عنها.

ثم عارضه الزركشي مع القدرة أو العجز في الصلاة أو في غيرها. وكذلك النيسابوري في "غرائب القرآن"، ويرى أن ذلك يخالف العقل.

ولم يكن السيوطي في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" آخر من عارض، بل كان الأستاذ الإمام محمد عبده الإصلاحية الكبير من أشد معارضي مبدأ ترجمة القرآن وسمى محاولة ذلك خطباً عظيماً، كما يقول في "تفسير المنار".

إذا لاحظنا أن أكثر تلك المعارضات كان في إطار الحديث عن التلاوة في الصلاة، فقد أجاز الترجمة والقراءة بها في غير الصلاة كثيرون.⁽¹⁴⁾

أما لمحيزون فمنهم: - الإمام النسفي - الإمام الصاغاني، الذي قال بإمكان الصلاة بغير العربية - الإمام الشاطبي.

أما آخر معركة كبيرة دارت حول تحريم الترجمة وجوازها، فقد وقعت إثر سقوط الخلافة العثمانية، ودارت تفاصيلها الحامية بين طرفين:

- الطرف المانع بدرجة شديدة وحاسمة من التحريم، وكان يقوده الشيخ مصطفى صبري، مفتي الديار العثمانية (سابقاً)، وقد ألف كتاباً سماه "مسألة ترجمة القرآن" حمل فيه حملة شعواء على القائلين بالجواز، ووصل إلى درجة الاتهام والتشكيك في العقيدة، وتبعه عدد كبير من علماء الإسلام في ذلك الوقت، نذكر منهم الشيخ حسنين مخلوف، والشيخ المطيعي وغيرهما، ثم وصل الأمر بعالم معاصر مثل محمد شاكراً إلى تأييد دعوة الأزهر عام 1925م في إحراق ما ورد إلى مصلحة الجمارك المصرية من ترجمات القرآن باللغة الانجليزية، وإلى حفظ القرآن من عبث العابثين وزندقة المتنذقين.

- والطرف المحيز بدرجة تصل إلى الحماسة، وكان يقوده الشيخ محمد مصطفى المراغي (1881-1940م) شيخ الأزهر الذي كان من أبرز الذين أجازوا الترجمة، بل جهد ونادى بضرورتها ما دامت لا تذهب بالنص العربي، ولكنه قال بعدم تسمية الترجمة قرآناً، وقال بأن استنباط الأحكام الشرعية والقواعد الفقهية لا يكون إلا من القرآن العربي، ولعه أول من دعا إلى استخدام بارة "ترجمة معاني القرآن" وليس ترجمة القرآن.

ومن أهم متابعي ذلك محمد فريد وجدي الذي قال بضرورة الترجمة، حتى لا يعطل القرآن عن الدخول إلى معتزك الإفهام، وحتى يكسب أنصاراً في الأمم الغربية.

وعلى أية حال فإن المترجمين في العالم مسلمين وغير مسلمين لم يكونوا لينتظروا موافقة العالم الإسلامي أو رفضه وتجويزه أو تحريمه، فانطلقت حركة الترجمة، بل إن الأمم الأعجمية كانت قد سبقت هذه المعارك الفقهية، وقطعت منذ قرون شوطاً لا بأس به في هذا المجال.

وأما السؤال الثاني وهو إمكان الترجمة عملياً وتقنياً، فقد صاحب طرح الإشكالية في كل مراحلها، وكان إمكان الترجمة وتأدية ما في القرآن العربي بها دائماً وما زال موضع شك وتحوف علمي كبيرين.⁽¹⁵⁾

تاريخ ترجمة القرآن الكريم:

يمكن القول بداية إن الترجمات الأوربية للقرآن الكريم قد مرت بأربع مراحل متداخلة، نُحْمَلها وَفَقُ الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية، وامتدت هذه المرحلة من القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الثاني عشر منه.

المرحلة الثانية: مرحلة الترجمة من اللاتينية إلى اللغات الأوربية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللغات الأوربية عن طريق المستشرقين ومن سار في فلكهم.

المرحلة الرابعة: مرحلة دخول المسلمين ميدان الترجمة إلى اللغات الأوربية، واتصفت بعض هذه الترجمات بالعلمية، وشيء من الموضوعية، وقد بلغت ما يزيد عن 45 ترجمة كاملة سوى ما كان من الترجمات الجزئية.⁽¹⁶⁾

ومنذ أن تمت الترجمة اللاتينية الأولى والنصرانية تعيش في وهم اكتشفوه - بعد اطلاعهم على القرآن الكريم - إذ رأوا أن هناك تشابهاً كبيراً بين الإسلام والنصرانية، وأن الإسلام ما هو في النهاية إلا صورة مشوهة عن المسيحية؟!!

وتحت تأثير هذا المفهوم تحرّأ البابا بيوس الثاني فأرسل رسالة للسلطان محمد الثاني يدعوه فيها إلى النصرانية ليصبح خليفة لأباطرة بيزنطة، إلا أن السلطان لم يلتفت إلى تلك الرسالة ورمى بها غُرْضَ الحائط.

والمأمل في تلك الترجمات يجد أنها لم تكن عملاً أكاديمياً أثاره حب الاستطلاع فحسب، وإنما كانت - وهو الأهم - عملاً أعد له عن سابق تخطيط وترصّد، واحتاج تنفيذه إلى إرسال البعثات لدراسة اللغة العربية، وكان كل ذلك بتوجيهات أعلى سلطة دينية نصرانية.⁽¹⁷⁾

والأمر الأخطر في هذا العمل ليس مجرد الترجمة فحسب، وإنما الرد على القرآن والطعن فيه، إذ كان هذا هو القصد الأساس من وراء تلك الترجمات. لقد ترجم القوم كتاب الله العزيز، وحرفوا فيه، وهاجموا، ونقدوا ونقضوا، ورفضوا وأثاروا الشبهة تلو الشبهة ولا يزالون، كل ذلك لم يتمّ في لغة واحدة فقط، بل في عشرين لغة أو يزيد.

لقد أقامت الترجمات اللاتينية وتوابعها سداً منيعاً بين الأوروبيين والمعاني الصافية للقرآن الكريم، وأورثتهم العداوة والبغضاء والكره الشديد للإسلام والمسلمين.

جدول يوضح أهم ترجمات معاني القرآن الكريم:

اللغة	المترجم	تاريخ الطبع	مكان الطبع
الإيطالية	Andre Arribabene	1547م	البندقية
الألمانية	Solomon Schweigger	1547م	نورنبرغ
الفرنسية	Andre Du Ryer	1647م	باريس
الانكليزية	Alexander Roos	1648م	لندن
الروسية	Vasilyevich Piot Postnikov	1716م	سانت بطرسبرغ
اليونانية	مجهول	1734م	هلمشتات

الأردية	عبد السلام عباسي البدايوني	1828م - 1244هـ	لكهنو
المجرية	Imere Buziday Szdmajer	1831م	--
الفارسية	كمال الدين حسين بن علي واعظ الكاشفي	1837م	كلكتة
التركية	محمد التفسيرى (دباغزاده)	1842م	القاهرة
السويدية	Fredrik Crusenstolpe	1843م	ستوكهولم
الإسبانية	De Jose Garber De Robles	1844م	مدريد
العبرية	Herman Rechendorf	1857م	ليبتسك
البولندية	Jana Murzy Tarak Buczackiego	1858م	وارسو
البشتو	مجهول	1861م	بجوبال
السندية	محمد صديق	1867م	لاهور
البنجابية	الحافظ محمد مبارك الله	1870م	---
الغجراتية	عبدالقادر بن لقمان	1879م	بومباي
البرتغالية	مجهول	1882م	باريس
التاميلية	حبيب محمد القاهري	1884م	بومباي
البنغالية	Girish Chandra Sen	1886م	شاروينترا
الصلوبوكرواتية	Ljubibratic Mico	1895م	بلغراد
السنسكريتية	مجهول	1897م	كانبور

اليوروبا	M.S. Cole	1906م	لاجوس
الأرمينية	Abraham, Amirchanjanz	1910م	فارنا
البلوشية	مولانا حضور بخش	1911م	لاهور
الرومانية	Silbesteu Octavian Isopescul	1912م	سرنوتي بوكافيا
الهندية	أحمد شاه مسيحي	1915م	راجبور
البراهوية	محمد عمر دينبوري	1916م	لاهور
الدنمركية	Pedersen	1919م	كوبنهاغن
اليابانية	Ken-ichi-Sakamoto	1920م	--
السواحلية	Godrfey Dale	1923م	لندن
الملايو	عبد الرؤوف بن علي فنصوري	1923م	القاهرة
التشيكية	Ignac Vesely	1925م	براغ
الصينية	Tiezheng Li	1927م	بكين
الأندونيسية	أحمد حسن	1928م	باندونغ
البلغارية	Stefan-Stefan Ya Skylev Tomov	1930م	روستشوك
التلغو	Cgukjiiru Narayana Rao	1938م	مدراس
الفنلندية	Z.I.Ahsen Boere	1942م	تامبير
الأفريكانية	إسماعيل عبد الرزاق صالح دين	1960م	--
الجاوية	كياي بشري	1967م	يوغ يكارتا

الإسبرنتو	محمد عبد الهادي	1969م	كوبنهاغن
التايلندية	إسماعيل بن يحيى	1969م	بانكوك
الأسامية	محمد صادر علي	1970م	غوهاتي
المليالم	Muttanisseril M. Kayakkutti	1970م	كايامكولام
المليالم	Muttanisseril M. Kayakkutti	1970م	كايامكولام
الكردية	Muhammadi Koyie Gali Zadeh	1971م	بغداد
الكورية	Young-Sun Kim	1971م	سيئول
السندانية	قمر الدين صالح	1971م	باندونغ
الأمهرية	مجهول	1972م	أديس بابا
المراهتية	محمد يعقوب خان	1973م	بومباي
الكنرية	مجهول	1978م	بنغلور
الهوسا	أبو بكر محمود جومي	1979م	بيروت
النرويجية	Einar Berg	1980م	أوسلو

صعوبات الترجمة:

إن أغلب صعوبات ترجمة معاني القرآن الكريم تتلخص في النقاط

التالية:

1- صعوبات ترتبط بالمفردات الخاصة باللغة العربية، والبيئة في شبه

الجزيرة العربية مهد القرآن، ومهبط الوحي، من ألفاظ تعدّ مفاتيح الحضارة لا نظير

لها مقابلا في اللغات الهندوأوروبية، مثل: بحيرة وسائبة، ووصيلة وحام... ومثل هذه الكلمات تفرض على المترجم أن يكتبها كما هي بالحروف اللاتينية، ثم يضع لها هوامش تشرح ما قاله المفسرون العرب المسلمون.

2- جوانب التركيب، حيث التقديم والتأخير والحذف والإيجاز، وما للجملة الاسمية والفعلية، وتناوبهما من دلالات وخصوصيات، يستلزم كلا منهما مقتضى الحال ومقام الكلام، فليست الجملة الفعلية والاسمية سواء ولا استخدام هذه محل تلك في لغة القرآن خصوصا، فإن تلك لا بد سيفقد النص جانبا عظيما من جوانبه التركيبية ذات الصلة الوثيقة بالمعنى. أما اللغات الهندوأوروبية فليس فيها جملة فعلية تبدأ بفعل، ولذا فإن أكثر المترجمين قد لا يفرقون بين الجملتين، وقد يجعلون الجملة التي تبدأ بالفعل جملة مقلوبة، قياسا على الجملة في لغتهم التي تبدأ بالاسم.⁽¹⁸⁾

3- جانب الأدوات والحروف، فأكثر أدوات التوكيد لا مقابل لها في اللغات الهندوأوروبية، ولذا فهي تسقط في الترجمة، وإن ورعي دورها اضطر المترجم إلى استخدام بعض الظروف التي يتسع مدلولها عن مدلول أدوات التوكيد، التي هي في الغالب عناصر إشارية ترتبط بأعضاء الجملة العربية ارتباطا ذا مدلول خاص معنى ولفظا. أما حروف الجر، فإن صلتها بالفعل وثيقة من حيث لزومه أو تعديته لمفعول واحد أو أكثر، وحروف الجر متنوعة وفيرة في اللغة العربية، وبينها فروق دقيقة لا يحل معها أحدها محل الآخر، إذ الفعل وطبيعته هما الموجهان للحرف، وهما اللذان يستلزمانه. وقد يخلط المترجم بين الحروف، أو لا يجد مقابلا للحرف الواحد الذي قد يؤدي معان مختلفة: فحرف الواو مثلا له دلالات كثيرة،

إذ يكون للعطف وللجمعية والحال... الخ، أما المترجمون فيترجمونه بالحرف الفرنسي (et) أو الإنجليزي (and).

4- جانب الفعل والزمن واسم الفاعل الدال على المستقبل بقرائن تركيبية، واستخدام القرآن المضارع الدال على الحال والاستقبال للدلالة على الماضي مع واو المضارع القصصي، واستخدام الماضي للدلالة على المستقبل فيما يخص مشاهد القيامة...

5- جوانب البلاغة القرآنية من معان وبيان وبديع على وجه الخصوص، فإن عدم القدرة على أداء الجناس والطباق والتورية، سيفقد النص جانباً من أكبر جوانبه وأهمها. أما فواصل الآيات ورؤوسها وتوازي الحمل في تركيبها وما في ذلك من موسيقى تقترب من الشعر وما هي بالشعر، ووزن المقاطع وما فيها من إيقاع ذي جمال خاص، فكل تلك الأمور لا نستطيع أن نطالب المترجمين بضرورة مضاهاتها أو الإتيان بمثلها المكافئ. (19)

فكيف يستطيع المترجم أن يأتي بكلام بلغة أجنبية مقابل لقول تعالى في سورة العاديات، وفيه توازٍ معجمي وصري وركيبي: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)﴾.

6- جانب له علاقة بالناحية الأدبية، وهي ما يسمى في النقد الأدبي وعلومه بنقل ظلال المعاني، الذي يؤدي إلى نقل الصورة الأدبية بكاملها، وإذا كان ذلك صعباً، فإن نقل ظلال المفردات وما لها من صلة بهذا الجانب أمر يكاد مستحيلاً.

7- جانب مرتبط بأسلوب القرآن الذي يحقق الانسجام والتوافق بين العقل والعاطفة، وهو ذو قوة وسمو وتأثير جعل الفصحاء في زمن الوحي يظنونهم سحرا أو كلاما فوق طاقة البشر. ومن ذلك قول الوليد بن المغيرة في وصف القرآن عند سماعه: "إن له لحلاوة.. وإن عليه لطلاوة.. وإن أعلاه لمثمر.. وإن أسفله لمغدق.. وإنه يعلو لا يعلو عليه".

إن الخصوصية الأدبية في القرآن وما ينتج عنها من تأثيرات نفسية لدى المتلقي تجعل الترجمة الحرفية تضع على النص جانبا ضخما من جوانب إعجازه الكامن في هذا الجانب. فالمفردات ومقالاتها لا تستطيع أن تؤدي ذلك.

8- جوانب انفتاح النص القرآني على أبواب المعاني المتعددة المتجددة، مما يجعله يفرض على المسلمين المؤمنين ذوي اللسان العربي أو غير العربي تعدد التفاسير وتنوعها واستمرار تجددها، ويظل بعد ذلك مليئا لا يخرج كل ما فيه واحدة ولا على مدى القرون والأزمان.

ومن الأخطاء التي يقع فيها المترجمون، يمكن أن نذكر الأخطاء التالية المستخرجة من ترجمة جاك بيرك، وهو أحد أشهر المترجمين، حيث نشرت طبعتها الثانية سنة 1996، على من أنه قام بتصويب جزء كبير منها بعد الملاحظات التي وجهت إلى الطبعة الأولى، ويمكن تصنيف هذه الأخطاء إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول من الأخطاء التي يقع فيها المترجمون يتمثل في سقوط أو إسقاط كلمات أو عبارات أو جمل، لم تترجم أساسا، ويؤثر سقوطها أو إسقاطها تأثيرا سلبيا في المعنى، منها:

- سقوط كلمة "عذاب" من قوله تعالى ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (هود: 76).⁽²⁰⁾

- سقوط عبارة "على وجهه" من قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 96). (21)

- سقوط الجملة "اجتباؤه" من قوله تعالى ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: 121). (22)

النوع الثاني يتمثل في أخطاء ترتبط بمفاهيم ومصطلحات لها تميز في الإسلام، وفي القرآن بشكل خاص، ومنها:

- كلمة "الأمي"، وهي صفة للنبي، وقد وردت في الآية 157 من سورة الأعراف ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقد ترجمها بيرك بقوله le prophète maternel، في حين ترجمها ريجيس بلاشير le prophète gentil، أي الذي ينتمي إلى الوثنيين، والذي لم يتلق كتابا من قبل. غير أنه يعود ويترجم كلمة "الأميون" les incultes.

- كلمة "تجهلون" في قوله تعالى ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ - ترجمت un peuple païen، والصحيح أن يقول un peuple ignorant. غير أنه يعود ويترجمها في قوله تعالى ﴿يحسيهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ بقوله: celui qui ne sait rien.

- كلمة "أعجمي" في قوله ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾
بقوله barbare وهو من تأثير الثقافات الغربية، حيث إن الإغريق كانوا يطلقون
على غيرهم هذه الصفة التي تحمل معنى التوحش، وربما الهمجية.
النوع الثالث يتمثل في أخطاء ترجع إلى سوء فهم الكلمة أو السياق،
ويؤدي ذلك غالباً إلى إفساد المعنى أو إنقاصه، وقد يؤدي إلى نقيضه، من ذلك:
- الشهر الحرام، ترجمت le mois où il est prohibé de combattre
مع أن الترجمة الصحيحة هي le mois sacré. صحيح أن الشهر
الحرام يحرم فيه القتال، غير أن هذا جزء من المعنى، لأن المعنى أوسع يشمل القتال
وغيره من المحرمات في الأشهر الحرم.

- قوله تعالى ﴿وليعلم المؤمنون﴾ ترجمت:

pour que les croyants le sachant، وكأن الحملة "وليعلم
المؤمنون"، فتصبح المؤمنون فاعلاً، في حين أنها مفعول به، والفاعل هو لفظ
الجملة. (23)

- قوله ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ ترجمت au jugement des
justes de parmi vous. ونلاحظ هنا أن الخطأ نابع من مشكلة نحوية، تتمثل
في انعدام التعبير عن المثنى في اللغة الفرنسية، وكان من الممكن القول
deux hommes intègres d'entre vous.

- قوله تعالى ﴿قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً﴾، قد
ترجمت كلمة "شهيد" هنا martyr، وكان أولى أن تترجم en leur
compagnie وهذا الخطأ نابع من الدلالات المختلفة التي تحملها كلمة شهيد في
اللغة الفرنسية:

Compagnon – compagne – témoin – témoignage – martyr

- قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ترجمت vous allez voir، وليس هنا ما يدعو إلى ترك الفعل الذي يدل على العلم savoir.

- قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ترجمت Dieu encercle، في حين أن المقصود بالإحاطة هنا العلم التام بكل ما يعمله الكافرون.

خاتمة:

التبليغ وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله سبحانه، وقد أمر به صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 67) وإذ كانت رسالة الإسلام رسالة عالمية، وكانت حكمة الله البالغة قد اقتضت جعل لغات الناس التي يتفاهمون بها ويتواصلون لغاتاً متعددة ومختلفة، فقد كانت الترجمة وسيلة مهمة في إيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة.

ولا يخفى أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وبهذا كانت اللغة العربية وعاء هذا الدين، إلا أن هناك كثيراً من الشعوب والحضارات - التي دخلت دين الإسلام أو دخل الإسلام إليها - لا ينطق أهلها العربية، ومن هنا كانت الصعوبة في فهم رسالة هذا الدين وتطبيقه التطبيق الأسلم، وهكذا كان تعدد اللغات بين شعوب العالم من المشكلات التي تواجه الدعاة والمبلغين، وتقف عقبة في طريقهم.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، يتحدث سكان القارة الإفريقية بما يزيد عن 400 لغة، وبعض دول تلك القارة لديها ما يقرب من مائة لغة، كنيجيريا، وكينيا. ويقدر علماء اللغات أن عدد لغات العالم يصل إلى ما بين 2500-5000 لغة موزعة على القارات الخمس، وتقول الإحصائيات في هذا الشأن: إن حوالي ثلثي سكان العالم يتحدثون 27 لغة فقط، بينما يتحدث الثلث الآخر بقية اللغات... فإذا تأملنا حجم هذه الأرقام أدركنا حجم المشكلة التي تواجه الدعاة إلى هذا الدين، وأدركنا بالتالي أهمية الترجمة، ودرجة الأهمية التي ينبغي أن تعطى لها.

وفي خضم هذه المشكلة وحاجة الشعوب الإسلامية للتعرف على دينها وقراءة كتاب ربها، ظهرت بعض الجهود الفردية في ترجمة القرآن الكريم، إلا أنها افتقدت الترتيب والتخطيط فلم تؤت ثمارها المرجوة تمامًا... ومع كل ذلك فقد ساهمت هذه الجهود بشكل فعال في قطع الطريق أمام المغرضين، وسدّت مسدًا في هذا الدين كاد يدخل منه أعداؤه المتربصون به، كل ذلك في غياب الجهود الجماعية والرسمية التي كان ينبغي عليها أن تنهض للقيام بمثل هذه المهمة، التي لا يمكن أن يقوم بها الأفراد بأنفسهم، دون دعم وتمويل من الجهات والمؤسسات القادرة على مثل هذا الدعم.

ولا تزال تلك الشعوب تتطلع إلى اليوم الذي تُشاد فيه الهيئات الرسمية التي تتولى أمر هذه المهمة، بعد أن أصبحنا نعيش في عصر المؤسسات، وأصبح لكل أمر هيئة تتعهد وتقوم عليه، من اقتصاد وسياحة ورياضة وغير ذلك، وكلنا أمل أن نرى ذلك اليوم الذي توجد فيه المؤسسات والهيئات العلمية المتخصصة

بترجمة القرآن الكريم إلى لغات العالم كافة، وما ذلك على الله بعزيز. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:8).

هوامش:

- 1- محمد الديدايوي، الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص5.
- 2- حمزة الديب، الترجمة النقدية وإشكالية المصطلح، الموقف الأدبي، عدد 282، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1989، ص9 - 10.
- 3 - L. Tarnoczi : Congruence entre l'original et la traduction, P.137.
- نقلا عن حسين خمري، الترجمة الأدبية من الخيانة إلى الإبداع، محاضرة أُلقيت بالملتقى الوطني الأول حول "الترجمة واللسانيات"، قسم الترجمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عنابة، مايو 2007.
- 4- Joëlle Redouane, La traductologie, P.161.
- 5- ربما كانت الخيانة مقصودة، أو هي التي تعطي النص المترجم جماله ورونقه. وقد ناقش العلماء هذه القضية بشكل مستفيض، وليس مجالنا هنا.
- 6- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، القاهرة، د. ت، مادة (ترجم).
- 7- المسدي، ما وراء اللغة، ص113.
- 8- محمد ديدايوي، علم الترجمة، بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة (تونس)، 1992، ص15.
- 9- المرجع نفسه، ص. ن.

- 10- عبد الودود العلي، مفهوم الترجمة: تطوره ومعناه، مجلة المترجم، عدد 01، كانون الأول 1987، ص 89.
- 11- عمار قرني، المنهج اللغوي عند المفسرين القدامى، مشروع دكتوراه مقدم إلى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، أكتوبر 2008، ص 3.
- 12- المرجع نفسه، ص 3.
- 13- محمود العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006، ص 37 - 38.
- 14- المرجع نفسه، ص 39.
- 15- المرجع السابق، ص 40.
- 16- انظر الموقع الإلكتروني التالي:
www.mekkaoui.net/MaktabaIslamy/Quran/tarigtargamaquoraa.htm
- 17- انظر المرجع نفسه.
- 18- محمود العزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 47.
- 19- المرجع نفسه، ص 48.
- 20- تفسير جان بيرك، ص 239.
- 21- المرجع نفسه، ص 255.
- 22- المرجع نفسه، ص 291.
- 23- محمود عزب، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 60.